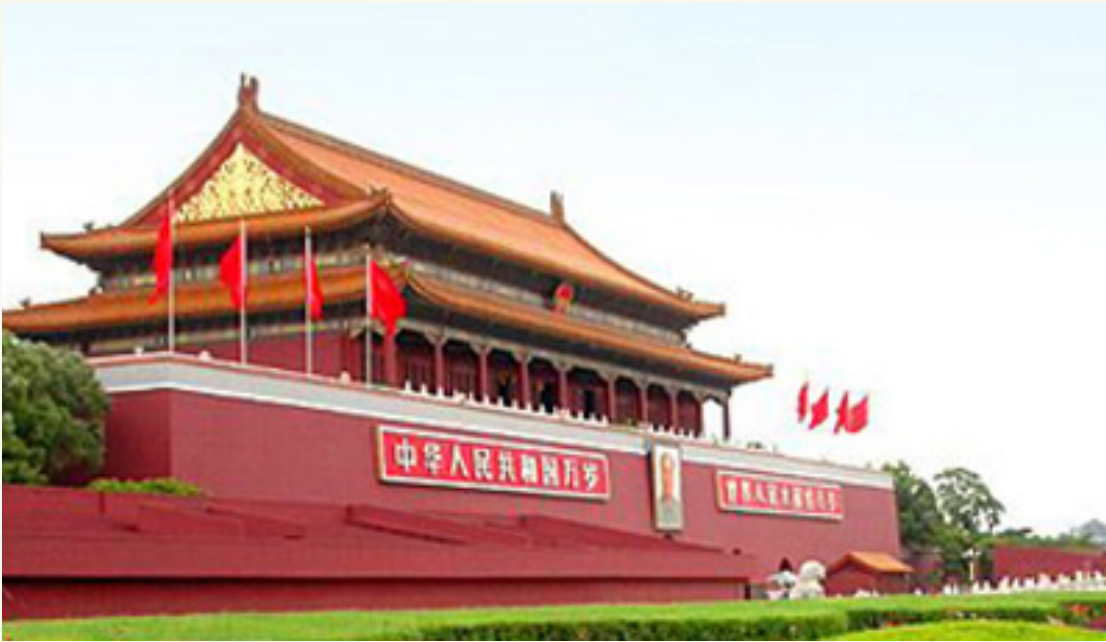




عبد الله الشحي

## التواجد العربي في الصين قديماً

يتحدث الأستاذ لي تشين تشونغ بجامعة اللغات والثقافة الصينية في مقالته في مجلة التسامح - التفاهم العدد السابع «اطلب العلم ولو بالصين» عن التواجد الإسلامي العربي في الصين قديماً وحديثاً، وكيفية تأثر الصين بالمسلمين وعلومهم التي جاؤوا بها، كما يوضح الاتصالات بين العالم الإسلامي القديم والصين سواء الثقافية أو التجارية. يعرج الكاتب في مقالته على الامتزاج بين الصينيين والعرب وعن نتائج هذا الامتزاج على المستوى الاجتماعي والثقافي من حيث نشأة مجتمعات إسلامية ذات خصائص فريدة داخل الصين. يمتد تاريخ الصين لفترات بعيدة، حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وتفاعلت الصين عبر ذلك الوقت مع العديد من الحضارات والشعوب، منها البلدان العربية، حيث يرجع الباحثون حصول أول اتصال بين العرب والصين في القرن السابع الميلادي، وكان دخول الإسلام بشكل أساسي في تلك الفترة يتم عبر العلاقات التجارية كما يذكر الباحثون. كان العرب يأتون الصين عبر البر والبحر، حيث إن طريق الحرير الذي كانت تنقل عبره العديد من البضائع ولا سيما الحرير من أشهر المسارات التجارية عبر التاريخ.



توسع الوجود العربي في الصين من خلال العدد الكبير للتجار العرب في سنة ٧٨٨م، وحصل أن كثيراً من التجار قرروا البقاء في الصين بسبب خطورة الطريق تحت تهديد الغزوات المستمرة في تلك المنطقة، وأتصور شخصياً أن هؤلاء التجار وجدوا في الصين عناصر لم تكن موجودة في بلدانهم، حيث اندمج هؤلاء التجار وتزوجوا من السكان المحليين. يذكر الباحث بعض الشهادات حول امتلاك التجار العرب ثروات هائلة كانت تشمل العطور والعاج والعملات الصينية، مع أنه يحتمل أن مبالغ معينة قد حصلت بهذا الصدد إلا أنه لا يمكن إنكار أن العرب كانوا يملكون الكثير حينها نظراً لتعدد الشواهد التاريخية على ذلك.

انتشر الإسلام في الصين بفضل التجار المسلمين أساساً، حيث امتزج الإسلام بالقومية في الصين، فنشأ إسلام صيني نتيجة لذلك، مع بقاءه محافظاً على أركان الإيمان الست وأركان الإسلام الخمسة، أي أنه الإسلام نفسه لكن بعض الممارسات وربما العقائد قد دخلت عليه، وأظن بأن هذا شيء طبيعي ومتوقع في منطقة غنية بالتنوع الثقافي مثل الصين في تلك الفترة. يتميز وجود العرب في تلك الفترة بوجود تجمعات خاصة بهم تتمتع بنوع من الاستقلالية بالإضافة لقوميات أخرى من الفرس وغيرهم، ويسهل التخمين أن هذا النسيج الاجتماعي ذا المكونات المختلفة قد ساعد في نحت وتشكيل ثقافة العرب بل وثقافة الصين عموماً.

كان للغزو المغولي الأثر العظيم على تواجد المسلمين في الصين، خاصة وأنه أدى لجلب العديد من المسلمين الذين يعملون مع الجيش المغولي في مهام ووظائف متنوعة، هؤلاء الذين ربما لم يكن لهم خيار سوى الانضمام للجيش المغولي فيما حصل بعضهم على مناصب عالية في وقت لاحق. اجتاحت الغزوات المغولية أجزاء واسعة من الصين، في نفس الوقت الذي تعرضت فيه الدولة الخوارزمية للهجمات المغولية، ولا يستغرب ذلك من دولة قوية كدولة الغول. ومن الناحية العقائدية فإنه لم يكن للمغول اهتمام كبير بالأديان، فأصبح دخول المغوليين في أديان مختلفة شيئاً متوقفاً للغاية، فاعتنقوا المسيحية والبوذية والإسلام، ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن محمود غازان كان أول خان يدخل في الإسلام.

لم تتوقف حدود العلاقة العربية الصينية عند المستوى التجاري، بل تعدتها وصولاً للتبادل العلمي في المجالات المختلفة كالفلك والطب وغيره، حيث يتضح لي أن فرضاً مهمة جاءت للعلماء العرب وبالذات بعد الفتوحات المغولية من أجل المضي قدماً بالبحث والتفكير العلمي، فبالنسبة لعلم الفلك كان للمسلمين باع طويل فيه نتيجة حاجتهم لتحديد مواعيد الصلاة وخبرتهم في التنجيم، مما أفاد بشكل واضح لا سيما في

إلى أنها كانت مقبولة بمقياس ذلك الزمان. من الجوانب الأخرى التي أضاف فيها العرب والمسلمون للصين هي العمارة والفنون، فبرز منهم الشعراء والفنانون والخطاطون، إضافة «لقيام اختيار الدين، بتصميم وتنفيذ مشروع الحدائق الملكية في الصين، وهناك أيضاً تكنولوجيا رمي القذائف التي أشرف عليها مسلمون في بعض المعارك التاريخية الصينية. في رأيي أن هذا التنوع في الأنشطة التي مارسها العرب له دلالات أهمها إيضاح دور العرب وإسهامهم الإيجابي في تطور العديد من الجوانب في الصين وغيرها. يدلنا كل ذلك على مدى انخراط العرب في مختلف المجالات والمهن في الصين، فالعرب هناك استفادوا وأفادوا بالشكل الكبير، حيث دخلوا تاريخ الصين من أوسع أبوابه. لكن تحضرنى نقطة مهمة ذكرها الكاتب وهي أن أحد المسؤولين في الصين اعترف بعدم تقديمهم الاهتمام الكافي لإسهامات المهندسين العرب في بعض الأحداث التاريخية، وهنا أتساءل عن كم الإسهامات الأخرى للعرب التي تركت دون نفض الغبار عنها؟!

تطوير التقويم المعتمدة. وبرزت في هذا الجانب عدة أسماء كان على رأسها نصير الدين الطوسي وجمال الدين الذي قام برسم خريطة الصين الموحدة إضافة لتقديمه مجموعة من الهدايا المميزة للمرصد الصيني؛ كانت عبارة عن أدوات وآلات للحساب ومراقبة السماء، وأضيف إلى ما سبق أن الكثير من أسماء الأجرام السماوية والألفاظ المستعملة في علم الفلك هي عربية؛ في دلالة واضحة على مدى تقدم العرب في هذا العلم.

عندما تنتقل للحديث عن الجانب الطبي، لا يجب أن يخفى علينا أولئك الأطباء الصينيون الذين استفادوا من المعرفة العربية مثل العالم «داف تشينغ تشي»، فمن وجهة نظري أن الطب الصيني ينطوي في أعماقه على معلومات ذات مصادر عربية أصيلة، ومن أدلة ذلك وجود الكثير من العقاقير الطبية في كتاب «وصفات هوي هوي»، وكتاب القانون في الطب لابن سينا، وكثير من هذه العقاقير ذات أسماء عربية وفارسية. تميز الطب العربي الإسلامي باستناده إلى فلسفة تختلف عن فلسفة الطب الصيني، مما جعله أقل تعلقاً بالخرافات وأكثر عملية من الطب الصيني، وأوافق الكاتب في هذه النقطة، حيث إن الطب العربي الإسلامي يتبنى نظرية الأخلاط لأبقراط، ومع عدم خلوها من الأخطاء